السلطنة العثمانية.. حضارة تجسدت في بيت لحم

مأمون شحادة

باحث في الشئون السياسية

ملخص:

ما زال الفتى الفلسطيني عثمان يجلس على قمم جبال فلسطين التاريخية منتظرًا لقاء يجمعه مع جده الاسلامي عثمان ارطغرل، إلا أن الحواجز الإسرائيلية المتشعبة بين أوصال كنعان وحدوده الاقليمية حالت دون ذلك.

وعلى الرغم من لوعة الانتظار ولهفة الشوق المرسومة بعبق التاريخ وسيمفونية انقرة واسطنبول، إلا أن آثار ارطغرل التاريخية ما تزال شاهدة على اللقاء بحضارة احتضنت الفتى عثمان.

لا شك أن الآثار العثمانية في فلسطين عمومًا وبيت لحم خصوصًا تعتبر أحد السمات البارزة في التاريخ الحضاري الفلسطيني ولا يوازيها من الناحية المعمارية سوى أثار الفترة الرومانية والمملوكية. وتعتبر المدن التاريخية في فلسطين كالقدس والخليل وأنوية البلدات التاريخية شاهدًا على التراث الحضاري المعماري لهذه الفترة.

وتعتبر أثار الفترة العثمانية جزءًا لا يتجزأ من التراث الثقافي الفلسطيني، وما زالت جزءًا من التراث الثقافي الحي، وما زالت المباني التاريخية العثمانية من هذه الفترة قيد الاستخدام، وينظر إليها كجزء من الهوية الثقافية، وهي تحظى باهتمام كبير في مخططات وزارة السياحة والآثار والبلديات والمؤسسات العاملة في حقل التراث الثقافي.

وان لهذه الاثار جزءًا من الذاكرة التاريخية المشتركة ما بين الشعبين الفلسطيني والتركي، والتي تتجلى في تعبيرات متنوعة ممتدة عميقا في التراث الفكري والروحي الجامع. كما يشكل هذا الإرث التاريخي معينًا لعلاقة الصداقة والاحترام الثقافي المتبادل ما بين الشعبين.

برك سليمان معلم بارز من معالم الرعاية العثمانية للآثار وتجديدها

تعتبر برك سليمان والنظام المائي المرتبط بها أحد ابرز المعالم التاريخية المقامة في محافظة بيت لحم بفلسطين.

رؤية تركية
2013 - 5
171 - 163

تقع برك سليمان (وتعرف ايضا ببرك المرجيع)، على مسافة 4 كم جنوب بيت لحم، على الطريق الرئيس الواصل بين مدينة الخليل والقدس، وهي ثلاث برك تمتد من الغرب إلى الشرق لمسافة 500 بين وادي أرطاس وبلدة الخضر ، وتتسع البرك إلى حوالي 160,000 متر مربع من الماء، سميت بهذا الاسم نسبة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني الذي قام بترميم قنوات المياه التي كانت تزود القدس بالمياه، وتعتبر عثمانية باجماع المرخيين لما تتصف به من دقة ترميم واعادة هيكلية تختلف عما سبق، ووفقًا لذلك اعتبرت عثمانية.

تعتبر برك سليمان والنظام المائي المرتبط بها أحد ابرز المعالم التاريخية المقامة في محافظة بيت لحم بفلسطين

أنشئ النظام المائي في الجهة العليا من وادي أرطاس في الفترة الرومانية 37 قبل الميلاد وحتى سنة 325 ميلادي ببناء بركتين، وتطور هذا النظام في الفترات الإسلامية ببناء البركة الثالثة الكبيرة في عهد السلطان المملوكي الملك الظاهر خوشقدم عام 1460م.

حافظ السلاطين العثمانيين على قناة السبيل التي كانت تزود مدينة القدس وبيت لحم بالمياه من ينابيع تقع في عين العروب ووادي البيار، ويبلغ طولها حوالي 68 كيلومترا، وقاموا بتوسيع برك المياه وتنظيمها بطريقة رائعة ومبهرة اضافة الى تشجير المنطقة باشجار حرجية.

برك سليمان معلم بارز من معالم الرعاية العثمانية للآثار وتجديدها

تعتبر برك سليمان والنظام المائي المرتبط بها أحد ابرز المعالم التاريخية المقامة في محافظة بيت لحم بفلسطين.

تقع برك سليمان (وتعرف ايضا ببرك المرجيع)، على مسافة 4 كم جنوب بيت لحم، على الطريق الرئيس الواصل بين مدينة الخليل والقدس، وهي ثلاث برك تمتد من الغرب إلى الشرق لمسافة 500 بين وادي أرطاس وبلدة الخضر ، وتتسع البرك إلى حوالي 160,000 متر مربع من الماء، سميت بهذا الاسم نسبة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني الذي قام بترميم قنوات المياه التي كانت تزود القدس بالمياه، وتعتبر عثمانية باجماع المرخيين لما تتصف به من دقة ترميم واعادة هيكلية تختلف عما سبق، ووفقًا لذلك اعتبرت عثمانية.

أنشئ النظام المائي في الجهة العليا من وادي أرطاس في الفترة الرومانية 37 قبل الميلاد وحتى سنة 325 ميلادي ببناء بركتين، وتطور هذا النظام في الفترات الإسلامية ببناء البركة الثالثة الكبيرة في عهد السلطان المملوكي الملك الظاهر خوشقدم عام 1460م.

حافظ السلاطين العثمانيين على قناة السبيل التي كانت تزود مدينة القدس وبيت لحم بالمياه من ينابيع تقع في عين العروب

ووادي البيار، ويبلغ طولها حوالي 68 كيلومترا، وقاموا بتوسيع برك المياه وتنظيمها بطريقة رائعة ومبهرة اضافة الى تشجير المنطقة بأشجار حرجية.

قلعة البرك نموذج هندسي للعمارة العثمانية

نظرًا لأهمية هذا المصدر المائي فقد تم بناء قلعة لأغراض الحماية تعرف بقلعة البرك، تقع شمال البركة العليا»، وشيدت في عهد السلطان عثمان الثاني بن أحمد عام 1617 لحماية البرك ومصادر المياه وقوافل الحجاج من الاعتداءات، وقامت القلعة بدور مهم في حفظ الأمن وحراسة ينابيع المياه وقناة السبيل.

وتتكون القلعة من بناء مستطيل الشكل طوله من الجنوب إلى الشمال 70م وعرضه من الشرق إلى الغرب 45م، لها مدخل رئيس واحد في منتصف الجدار الغربي يعلوه نقش مكتوب عليه تاريخ تشييد البناء، وفي كل زاوية من زواياها الأربعة يوجد برج مربع الشكل مبني من طابقين، يظهر في جزئه العلوي فتحات السهام، وفي جزئه السفلي يوجد مدخل يفتح داخل القلعة فيه درج يؤدي إلى الطابق العلوي، تتكون القلعة من خمسين غرفة صغيرة بنيت على الجدار الغربي الشرقي، وخصصت لسكن الجنود وأمتعتهم ومؤنهم وعتادهم، وفي الركن الجنوبي الغربي بني مسجد صغير، وتتحدث الروايات المنتشرة محليا عن وجود مسجد آخر غير مسقوف، عند البرج الكائن في الركن الجنوبي الغربي للقلعة يطلقون عليه اسم «نامزجه».

برك سليمان

أما الجهة الجنوبية منها فيوجد فيها نبع ماء خاص بالقلعة يعرف بعين القلعة.

وذكر الكاتب والباحث احمد عثمان في مقاله البحثي «الكشف عن قلعة البرك العثمانية»: (يبدو قرار عثمان ببناء قلعة البرك، له أسباب خاصة الى جانب الاسباب العامة. فقد اعلن السلطان عثمان عن نيته الخروج بنفسه الى بلاد الشام على رأس الجيش، لمحاربة فخر الدين المعني الثاني امير الدروز الذي كان يتحدى سلطة الدولة العثمانية. بعد ذلك قرر السلطان السير في درب الحج جنوبا الى مكة لأداء الفريضة، ويبدو ان عثمان كان ينوي افتتاح قلعة البرك عند مروره بها في طريقه الى الحجاز، بيد ان مشروعه لم يتحقق، إذ تمردت بعض وحدات الجيش السلطاني في القسطنطينية، وأجبرت السلطان على اقالة رئيس وزرائه الخزلار اغاي الخوجة وتعيين داود باشا محله. وسرعان ما تآمر داود باشا على عثمان وقتله في 20 مايو (ايار) 1622، فمات قبل ان يفتتح قلعة البرك أو يؤدي فريضة الحج في مكة).

تطوير وهندسة لمشروع الرّي بالبرك

أواخر الحكم العثماني عام 1901م استبدلت قناة المياه الفخارية التي مدها العثمانيون من برك سليمان إلى القدس، بقناة معدنية، بإشراف مهندس يوناني يدعى أفرنقاه، والتي ظلت تزود القدس بالمياه حتى عام 1948، ووقوع النكبة الفلسطينية.

وهذا العمل يعتبر نموذجًا فريدًا في ذلك العصر، وقد خصص لذلك مبالغ نقدية طائلة وطواقم فنية عالية الدقة.

جانب من الدوريات العسكرية العثمانية

حافظت السلطنة العثمانية على قنوات الري الممتدة من برك السلطان الى القدس وبيت لحم، حيث كان يتجول في المنطقة اكثر من أربعين جنديًا على هيئة صفين مزودين بالعتاد الكافي لحمايتها، تحت امرة قائد يسمى دزدارا، وكانت الدوريات العسكرية تسير ليل نهار، نصفها مشاة، والاخر خيالة.

المخاطر الحديثة التي تعرضت لها «برك وقلعة» سليمان القانوني

بسبب سياسة الاهمال التي انتهجتها السلطات الإسرائيلية لمنطقة برك سليمان وقلعتها المحيطة بها إبان فترة الثمانينيات، فقدت المنطقة معلمًا اثريًا رائعًا يشهد على عمق الهندسة والبناء العثمانية في مدينة بيت لحم، فالداخل اليها نزولًا من الشارع العام المتصل ببوابة بلدة الخضر المطلة على عبق واريج الهندسة المعمارية التركية يفتقد نافورة للمياه على المدخل الامامي للقلعة، والتي تتكون من أسدين كبيرين متقابلين وجها لوجه، وتخرج من أفواههما مياه تصب ببركة ماء تحيط بالأسدين.

وهذا المعلم الاثري شاهد على عمق الترابط التراثي العثماني في البناء والتصميم المتواجد في فلسطين، فالناظر الى سور البلدة القديمة بالقدس يرى ذات الأسدين على مدخل باب العامود بالبلدة، وهو ما يؤكد ان للأسد قيمة اجتماعية وسياسية وتراثية بالفكر العثماني.

وبتدمير هذا المعلم الاثري افتقدت العمارة العثمانية احد اشهر المعالم الخلابة التي تجسد رائعة من روائع السلطنة وتراثها الخلاب.

أما في الوقت الحاضر، فقد تعرضت مساحات أثرية هامة من الأراضي الأثرية التابعة للبرك للتجريف، بهدف إقامة موقف للسيارات في العام 2010، ما تسبب في تخريب لبعض المعالم الأثرية في المكان.

وكذلك تعرضت برك سليمان وقلعتها الى العديد من المتغيرات الشكلية وخاصة في أحراشها الحرجية المحيطة بها، جراء عاصفة ثلجية قوية ضربت الاراضي الفلسطينية في العام 1992، ما ادى الى اقتلاع اكثر من 200 شجرة بالمدخل الامامي للقلعة.

وخلال الانتفاضة الفلسطينية الاولى التي اندلعت في العام 1987م تعرضت المنطقة الى العديد من الاعتداءات والتطاولات، منها:

تعرضت برك سليمان وقلعتها الى العديد من المتغيرات الشكلية وخاصة في احراشها الحرجية المحيطة بها، جراء عاصفة ثلجية قوية ضربت الاراضي الفلسطينية في العام 1992

افراغ البرك الثلاث من المياه، والسماح لتجار السيارات رمي قطعها المستعملة داخلها بامر من السلطات الإسرائيلية، اضافة الى هدم أجزاء من اسوار القلعة.

اما في الانتفاضة الثانية عام 2000م تعرضت القلعة لقصف من الرشاشات والمدفعية الإسرائيلية، بذريعة ان اطلاقًا للنار يأتي من داخلها، ما ادى الى خراب جزء منها.

وفي سياق التهويد ومحاولات المستوطنين الإسرائيليين السيطرة على التراث العثماني، تقوم مجموعات استيطانية من مستوطنة "افراتا وجوش عتصيون" الى الجنوب من المدينة بسلسلة اقتحامات بين الفينة والاخرى لقلعة البرك واداء طقوس تلمودية في اشارة الى انها عبرية تتبع لدائرة الاثار الإسرائيلية.

الى ذلك اكد الباحث الأثري والإعلامي أسامة العيسة في حديث صحفي عام أن عمليات بناء جدار الفصل العنصري الإسرائيلي في المكان المحاذي للبرك توقفت مؤخرًا، عقب مطالبة المستوطنين اليهود بضم هذه البرك للجدار ومصادرة المساحات الأثرية لصالح المستوطنين.

وحول خطورة أنشطة الاستيطان على مصير البرك، أوضح أن البرك والقلعة أصبحت الآن ماثلة على خرائط المستوطنين السياحية بالضفة الغربية، وتجري محاولات لتهويدها والسيطرة عليها من خلال الاقتحامات المتكررة لها برفقة الجيش الإسرائيلي، خاصة من مستوطنة (إفرات) وتجمع (جوش عتصيون).

ونبه المختص السياحي العيسة أن برك سليمان وقلعتها تعدان أكبر مشروع قومي فلسطيني عبر التاريخ، من خلال شق الأنفاق والقنوات التي تغذيها وتوزيعها للمياه.

وينقل محاولات يهودية قديمة تمتد لمئات السنين للسيطرة على البرك وتهويدها، من خلال المسيحيين المتهودين الذين قادوا حملات تبشير في محيط البرك التي كانت مناطق حياة تعج بالسكان، فيما جابههم الفلاحون الفلسطينيون.

ويبين بأن ذلك لم يكن النشاط التهويدي الوحيد، بل أقدم عشرات اليهود قبل مئات السنين على شراء أراض زراعية قريبة من المكان، وسكنوا بها وحاولوا السيطرة على هذه البرك، فيما جوبهت جهودهم بمقاومة السكان الفلسطينيين.

من جانبه بيّن رئيس بلدية الخضر السيد رمزي صلاح في تصريح لمجلة "رؤية تركية"، أنه ونتيجة للاحتلال الإسرائيلي

وتوسعاته الاستيطانية تم تدمير العديد من القنوات التي كانت تغذي البرك الثلاث، ما ادى الى خلوها من المياه والطبيعية.

اضافة الى ذلك فان برك سليمان تخلو من الإجراءات الأمنية في محيطها، ما يحتم الانتباه الى هذه النقطة المهمة للحيلولة دون دخول الشبان للسباحة داخلها، خشية من سقوط ضحايا جدد في هذه البرك التي يقتل بها شبان بشكل سنوي، ما يستوجب تضافر الجهود من جانب كافة المستويات لحمايتها من أخطار التهويد الاستيطان وإكمال أعمال الترميم بها.

اللافت، أن هذه المنطقة تعتبر من أبهى المناطق الطبيعية الى تحوي على مياه طبيعية، وهي المتنفس التراثي المائي الوحيد لاهالي الضفة الغربية بعد سيطرة إسرائيل على كافة البحار الفلسطينية

وبسبب سياسة الاهمال التي تعرضت لها المنطقة، راح ضحية ذلك اكثر من 20 مواطن فلسطين بين قتيل وغريق، جراء فقدان المنطقة أدلاء سياحيين وحراس يحرسونها.

البحث عن صناديق الذهب العثمانية

تعمدت إسرائيل منذ اللحظة الاولى لاستيطان فلسطين الى بث اشاعات عن وجود صناديق من الذهب العثماني في برك سليمان وقلعتها، معللة ان الجيش العثماني حينما رحل عن فلسطين قام بدفنها هناك، حيث اصدر الاحتلال الإسرائيلي خرائط مزورة تؤكد وجودها، والهدف من ذلك تدمير أي اثر اسلامي على تلك الأرض.

جراء ذلك قام العديد من الاشخاص مجهولي الهوية بعملية تنقيب وحفريات للبحث عن تلك الصناديق محدثين خرابًا جزئيًا، إلا أن يقظة وحرص المواطن الفلسطيني حال دون اتساع رقعة البحث عن الصناديق، للحيلولة دون فقدان أروع معلم من معالم السلطنة العثمانية وتراثها العريق.

بوابة الخضر.. وهيكلية الصراع الروسي

سمحت السلطنة العثمانية في أواخر تواجدها بفلسطين للبعثات التبشيرية الروسية الارثوذكسية بناء معلم اثري في بلدة الخضر ببيت لحم المحاذية لقلعة البرك عام 1910 اطلق عليه اسم «بوابة الخضر» تيمنًا بمقام مار جرجس (الخضر) المقام بالبلدة.

ويعتبر هذا المعلم من الناحية التحليلية بمثابة امتداد سياسي للامبراطورية الروسية التي كانت في تنافر سياسي مع السلطنة العثمانية تحت ذرائع كثيرة، ابرزها رعاية الطائفة الارثوذكسية.

وقد بني هذه المعلم بمحاذاة قلعة البرك العثمانية كابرز مركز عثماني في المدينة، على اعتبار ان بيت لحم لها قداسة دينية ومحط انظار الجميع، وعلى الرغم من الصراع السياسي إلا أن السلطنة العثمانية سمحت ببناء البوابة، في نقطة تشير الى التسامح الديني.

برك وقلعة السلطان في مصاف المناطق السياحية

اشار المدير الإداري لشركة برك سليمان السياحية عوني المشني، التي تشرف على البرك، في حديث صحافي الى اقتراب إنجاز مشروع البرك السياحي، الذي يشمل افتتاح بازار تجاري يضم حوالي 85 محلًا تجاريًا، ومتحف تراث وملاهي ومتنزه ومطعم سياحي واسع يتسع لأكثر من 2000 كرسي.

وبيّن المشني أن المنطقة كانت تعج تاريخيًا بالسياح، لكن الحال السياحية تراجعت في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، لتعرض المنطقة للإهمال، فيما يؤكد وجود أفق سياحي بالمنطقة، لتحويلها إلى منطقة سياحية بامتياز واستنهاض الوضع الاقتصادي بالمنطقة.

اللافت، ان هذه المنطقة تعتبر من ابهى المناطق الطبيعية الى تحوي على مياه طبيعية، وهي المتنفس التراثي المائي الوحيد لاهالي الضفة الغربية بعد سيطرة إسرائيل على كافة البحار الفلسطينية (البحر الميت والمتوسط).

وبينت مصادر لمجلة "رؤية تركية"، بانه سيتم بناء حديقة للطيور والاسماك والنباتات تحت اسم (العقائد السماوية)، حيث تحوي على كل النباتات التي تم ذكرها في كافة الاديان السماوية، اضافة الى بناء قرية بدوية، ومقاهي على الطراز العثماني.

واقيم بمحاذاة القلعة والبرك مهرجانًا دوليًا في العام 1997م حضره فنانين

فلسطينيين واردنيين واجانب، الان الظروف الاقتصادية الصعبة حالت دون استمراره.

الى ذلك تساءلت الطالبة الفلسطينية سماح غنيم، التي تدرس العلوم السياسة في جامعة القدس لـ«مجلة رؤية تركية»: (على الرغم من اعتبار قلعة البرك العثمانية بمصاف المناطق السياحية العالمية، فهل ستقوم الدراما السينمائية التركية بأخذ مشاهد تمثيلية في القلعة؟، كخطوة فكرية يخاطب فيها العقل التركي والعربي ان السلطنة العثمانية كانت وما زالت حاضرة في وجدان الحضارة وحفظ التراث).

السلطة الفلسطينية والاهتمام بتلك الآثار

يوجد اهتمام كبير بالحفاظ على اثار هذه الفترة، وكان الاهتمام رغم شح الموارد المالية وضعف الخبرات الفنية على جدول اهتمامات السلطة الفلسطينية، وقد تجسد ذلك بتشكل لجنة اعمار الخليل القديمة سنة 1996، وقرار تأسيس مشروع بيت لحم 2000 سنة 1997 والذي نص على بناء قصر المؤتمرات الملاصق

لقلعة البرك، وقد مثل مشروع بيت لحم 2000 نموذجا للاهتمام الفلسطيني بتراث هذه الفترة، والذي شمل ترميم الآثار التاريخية وتطوير البنية التحتية لمراكز هذه المدن.

وقال وكيل مساعد وزارة السياحة والاثار الفلسطينية الدكتور حمدان طه في حديث خاص لمجلة «رؤية تركية»، (ان المشروع السياحي (قصر المؤتمرات) في منطقة البرك يهدف إلى الاستفادة من هذا المورد الاقتصادي، وتعزيز امكانيات الجذب السياحي في منطقة بيت لحم، انطلاقا من الحفاظ على الموارد التراثية للموقع، وقد شابت هذه التجربة بعض الأخطاء في البداية التي تسعى الوزارة بالتعاون مع الجهة المستثمرة إلى تفاديها، وذلك من خلال خلق معادلة متوازنة بين الاستثمار والحفاظ على هذا التراث، الذي هو ملك الجيل الحالي والاجيال القادمة).

وأكد (ان هناك تواصلًا دائمًا ما بين وزارة السياحة والآثار الفلسطينية ونظيرتها التركية، وتتجلى أوجه التعاون المشترك في انتظام مشاركة فلسطين في المعارض السياحية التركية، كذلك هناك تعاون مثمر في مجالات التدريب المختلفة. وهناك لقاءات بين المسئولين الفلسطينيين والأتراك، وزيارات المسئولين الأتراك هي دائما على وجه الرحب والسعة).

واضاف حمدان (إن الآثار العثمانية في فلسطين هي شاهد حي على عمق العلاقة الثقافية والوجدانية بين الشعبين الفلسطيني والتركي، وهي كشجرة مثمرة تمتد بجذورها عبر التاريخ).

واعتبر (ان هذا التراث يشكل اساسًا متينًا لعلاقة الصداقة والاحترام والتبادل الثقافي القائم بين الشعبين، والذي نأمل أن ينمو أكثر في المستقبل).

وثمن حمدان موقف النموذج التركي الحديث القائم، (الذي يحظى على مفاهيم الديمقراطية، والتعددية والانفتاح باحترام كبير لدى المستوى السياسي الفلسطيني، والمثقفين الفلسطينيين الذين يرون فيه نموذجا ملهما، وخصوصا سعي تركيا لانهاء الاحتلال الإسرائيلي والحفاظ على الهوية التاريخية لمدينة القدس).

ودعا الى (تطور التعاون الفلسطيني التركي لجعل تلك الآثار منارة لكل من يريد ان يشاهد فن العمارة الاسلامية ما بين التجديد والترميم والبناء، كذلك وجه دعوة للأخوة الأتراك لزيارة تلك المعالم الأثرية وخصوصًا تقديم عروض ثقافية وفنية تركية في قصر المؤتمرات ببيت لحم وباقي المدن الفلسطينية).

العثمانيون ورعاية الأماكن المسيحية في بيت لحم

قامت السلطة العثمانية بالرعاية والمحافظة على الاثار المسيحية في مدينة بيت لحم، وبحسب ما اورده الكاتب حنا جقمان في كتابه « جولة في تاريخ بيت لحم»، فقد كان السلطان الأعظم يقدم الدعم ويسمح بترميم كنيسة المهد اولًا باول، ويكلف وفودًا لاستقبال البطريرك اوقات حلول عيد الميلاد المجيد، وقد اعطى امرًا بالسماح ببناء سور

مقبرة الروم الأرثوذكس الواقعة امام كنيسة المهد عام 1905م، وكذلك بناء دير الراهبات المحاذي لكنيسة قلب يسوع الأقدس عام 1890م، اضافة الى بناء السرايا القديمة عام 1873م، فالطابق الاول كان القسم الامامي منه يستعمل مركزًا للشرطة وخلفه السجن. والقسم الذي الى جهة المدينة كان محكمة الصلح. والطابق العلوي كان يشغل نصفه لدار البلدية والنصف الاخر لدائرة الصحة وخلف البناية كانت تسوية تستعمل اصطبلًا لخيل البوليس الراكب الذي كان يسمى الفرسان.

وتقديرًا للسلطان الأعظم على هذه الرعاية، قدم دير الروم قطعة ارض هدية للسلطان العثماني، لبناء مئذنة لجامع عمر بن الخطاب المقابل لكنيسة المهد، الذي بني سنة 1862م، وقد هدم هذا الجامع القديم واقيم مكانه في سنة 1954م بناية جامع عمر الجديد.

وبذلك أثبتت السلطنة العثمانية كما ذكرت الحقائق التاريخية انها تعتبر استمرارا للنهج الحضاري، ولذلك فقد انتهجت في سياستها العامة النهج الإسلامي البناء، من حيث الحفاظ على الطابع الإنساني الحضاري للبلاد الإسلامية التي دخلت تحت سلطانها، ولم يقتصر ذلك على الآثار والمعالم الإسلامية، بل شملت غير الإسلامية، والعربية، كذلك. وتأكيدًا على ذلك فقد قال الكاتب والباحث الدكتور اسامة عثمان لـ «رؤية تركية»: (فترة الحكم العثماني تشهد أن السلطنة كانت استمرارا للدولة الإسلامية والنهج الاسلامي الرائع، وعلى الرغم من فترات القوة، والمد، وفترات الضعف، والجزر، إلا أن الطابع العام كان الحماية والرعاية للآثار والأماكن التاريخية والمقدسة، للمسلمين، والعرب، ولغيرهم).

هكذا بدت ملامح الحقبة العثمانية في مدينة بيت لحم وخصوصًا برك سليمان القانوني وقلعتها الشامخة، وستظل الشواهد العثمانية شاهدة على فترة جسدت صفحة من صفحات الرعاية التركية للآثار الفلسطينية وبناء ما يثبت ذلك، لتظل الذاكرة ناقوس يدق اشواق وحنين الفتى الفلسطيني عثمان.